

التغير الاجتماعي في المجتمع الجزائري

تمهيد

- 1- تعريف التغير الاجتماعي
- 2- نظريات التغير الاجتماعي
- 3- عوامل التغير في الوطن العربي والجزائر
 - 1-3- عوامل تغير دينية
 - 2-3- عوامل تغير جغرافية
 - 3-3- عوامل تغير اقتصادية وطبيعية
 - 4-3- عوامل تغير اجتماعية
- 4- إفرزات واليات التغير الاجتماعي
 - 1-4- الاستهلاك المظهري
 - 2-4- بروز ثقافة الكترونية
 - 3-4- ظهور مجتمع معلوماتي
- 5- معوقات التغير الاجتماعي في الجزائر
- 6- علاقة وسائل الاتصال و الإعلام بالتغير الاجتماعي

خلاصة

تمهيد:

يعتبر مفهوم التغير الاجتماعي, من الصفات التي لازمت الإنسانية، منذ فترة نشأتها حتى وقتنا الحاضر حتى انه أصبح احد السنن المسلم بها، وحقيقة من حقائق المجتمع الإنساني إذ لا يوجد مجتمع ساكن تماما مهما كانت درجة بدايته وتخلفه؛ لذا فان الباحث في هذا المجال دائم الملاحظة حول كيفية تغير القيم والعادات من عصر إلى عصر ومن مجتمع إلى آخر، خاصة في ظل معترك التطورات التكنولوجية الهائلة التي تجتاح العالم اليوم، ومجتمعنا الجزائري احد هذه المجتمعات التي تعايش هذه التطورات اليوم, وتتأثر بما تنتجه هذه الوسائل التكنولوجية الحديثة؛ ومن هنا ومن خلال هذا الفصل سنحاول التطرق إلى تأثير هذه الوسائل الحديثة والمتمثلة أساسا في وسيلتي الانترنت والهاتف النقال عل أنماط التغير الاجتماعي في المجتمع الجزائري.

1- تعريف التغير الاجتماعي:

لقد استخدم علماء الاجتماع اصطلاح التغير الاجتماعي للتعبير عن ظاهره التحول والنمو والتكامل والتكيف والملائمة، مما دفع هؤلاء العلماء إلى استخدام مفهوم التغير الاجتماعي على انه لا يوحى بإحكام تقويميه عما هو أفضل وما هو سيئ أو ما هو خير وما هو شر ولكن يقرر الواقع المجرد كما هو فعلا في المجتمع، ويشير مفهوم التغير الاجتماعي Social Change إلى التحولات التي تطرأ على بناء أي مجتمع من خلال مدى زمني معين؛ ما يعني وجود قوى اجتماعيه تسهم في حدوث التغير في اتجاه معين وبدرجات متفاوتة الشدة وهو قد يطال بناء المجتمع بأسره كما هو الحال في الثورات، كما قد ينحصر في نظام اجتماعي معين، كالأسرة والسياسة والدين. وعندما نقول التغير الاجتماعي يعني الانتقال من نظام اجتماعي إلى آخر؛ من مجتمع تقليدي إلى مجتمع حديث فالنظام الاجتماعي الموجود الآن يختلف عن النظام الاجتماعي السابق، للنظام الما قبل رأسمالي، أو المجتمع الما قبل صناعي؛ أي أن المجتمعات البشرية عرفت العديد من الأنظمة الاجتماعية قبل أن تصل هذه المرحلة من التطور، والدافع وراء تغير الأنظمة الاجتماعية، هو أن النظام الموجود لا يعبر عن إرادة الأفراد المكونة للمجتمع، فطالما أن هناك فجوة بين ما هو قائم وما ينبغي أن يكون يحدث التغير للوصول إلى مجتمع يعبر عن إرادة أفرادهِ. (1)

- التعريف اللغوي: التغير في اللغة العربية من الفعل غير أي استبدال الشيء بشيء آخر أو نقله من مكان إلى مكان إلى آخر والتغير ضد الثبات، وهو يمثل ظاهرة عامة في كل المجتمعات

الإنسانية وظاهرة حقيقية إنسانية، وهو سنة من سنن الحياة لا يمكن إخفاؤها لمن يتصدى لفهم الحياة الاجتماعية (2)

- التعريف الاصطلاحي: لقد تعددت تعريفات التغير الاجتماعي وذلك لأهمية هذا المفهوم لاستخداماته المتعددة في جميع الميادين والمجالات سواء أكان ذلك في علم الاجتماع أو الاقتصاد أو السياسة أو غيرها من المجالات العلمية التي تعتبر التغير الاجتماعي مجالاً خصباً لأفكارها ونظرياتها، ومن عديد هذه التعريفات نذكر على سبيل المثال مجموعة من هذه التعريفات منها تعريف الدكتور حسين الخولي " بأنه تلك العملية المستمرة والتي تمتد على فترات زمنية متعاقبة يتم خلالها حدوث اختلافات أو تعديلات معينة في العلاقات الإنسانية، أو في المؤسسات أو التنظيمات أو في الأدوار الاجتماعية".

- كما عرفه عاطف غيث أنه " تلك التغيرات التي تحدث في التنظيم الاجتماعي أي في بناء المجتمع ووظائف هذا البناءات المتعددة والمختلفة".

- وقد عرف وميلز التغير الاجتماعي على أنه " التحول الذي يطرأ على الأدوار الاجتماعية التي يقوم بها الأفراد وكل ما يطرأ على النظم الاجتماعية وقواعد الضبط الاجتماعي الذي يتضمنه البناء الاجتماعي في مده معينه من الزمن".

- وعرف الدكتور رفعت بشر التغير بأنه تغير بنائي يصيب المجتمع في تركيب سكانه، وعلاقات أفراده وفي نظمه ومؤسساته وظواهره الاجتماعية كذلك يؤدي إلى تغيرات في القيم الاجتماعية المعايير والاتجاهات وأنماط السلوك المختلفة، والتي اتفق على تسميتها بثقافة المجتمع.(3)

2 - حسين عبد الحميد احمد رشوان ، التغير الاجتماعي والمجتمع، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2008، ص4.

3 - انظر الربط التالي : <http://www.social-team.com> 09.16 - 2010/12/05.

- كما تعرفه فاديه عمر الجولاني في كنايها التغير الاجتماعي مدخل النظرية الوظيفية لتحليل التغير

نقلا عن الدكتور مصطفى الخشاب بأنه ظاهرة التحول والنمو والتكامل والملائمة. (4)

- كما يعرفه جندبرج بالقول انه التغير في المجتمع وتركيبه ونمط التوازن بين أجزاءه وأنماط تنظيماته

كتناول حجم الأسرة وتحلل الاقتصاد المعيشي على اثر ظهور المدن والتحول من الطوائف المهنية

إلى الطبقات. (5)

كما عرف أيضا بأنه كل تحول يقع في التنظيم الاجتماعي، سواء في بنائه أو في وظائفه خلال فترة

زمنية معينة، والتغير الاجتماعي على هذا النحو ينصبّ على كل تغيير يقع في التركيب السكاني

للمجتمع، أو في بنائه الطبقي، أو نظمه الاجتماعية، أو في أنماط العلاقات الاجتماعية، أو في القيم

والمعايير التي تؤثر في سلوك الأفراد والتي تحدد مكاناتهم وأدوارهم في مختلف التنظيمات الاجتماعية

التي ينتمون إليها (6)

- **التعريف الإجرائي:** من خلال التعريفات السابقة يمكن وضع تعريف إجرائي لمفهوم التغير

الاجتماعي وتعريفه على انه تلك التغيرات التي تقع في مجتمع ما، وخلال فترة زمنية محددة وتنعكس

هذه التغيرات على سلوكيات الأفراد وعلاقاتهم الاجتماعية، و يمكن أن تكون ذات طابع ايجابي أو

سلبى أو الاثنين معا كما يمكن أن يمس في بعض الأحيان جانب معين كالجانب السياسي مثلا فقط

كما يمكن أن يتعدى ذلك إلى عديد الجوانب الأخرى كالجوانب الاجتماعية والاقتصادية والدينية

وغيرها.

4 - فاديه عمر الجولاني: التغير الاجتماعي مدخل النظرية الوظيفية لتحليل التغير، مرجع سابق، ص13.

5 - أحمد زيدان واعتماد إعلام: التغير الاجتماعي، مكتبة الانجلو المصرية، 2006، ص19.

6 -الدكتور أحمد زكي بدوي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، ط 2، مكتبة لبنان، 1986، ص382.

2- نظريات التغير الاجتماعي:

يفكر علماء الاجتماع في رصدهم لظواهر التغير الاجتماعي في الأساليب التي يحدث بها التغير الاجتماعي، ومن هنا بدأت تظهر العديد من النظريات التي تفسر التغير الاجتماعي والتي ظهرت عبر التاريخ ، قد تطورت كثيرا وازدادت دقة وإحكاما، وانتقلت من مرحلة التفكير التأملي والتاريخ الظني إلى الاحتكام للواقع وحشد البراهين التاريخية الدالة على صحة النظرية؛ وبالرغم من هذا السعي المتواصل في تفسير الظواهر ورصد التغيرات المحيطة بالمجتمع إلا أن هذه النظريات لم تتوصل إلى كلمة نهائية، ويرجع السبب في ذلك إلى أن الواقع الاجتماعي يكشف دائما عن أدلة وبراهين جديدة مما يفند في كثير من الأحوال العديد من النظريات التي كانت تفسر ظواهر تغير اجتماعية حاصلة في مجتمع ما، وحسب رؤية وظروف محيطة معينة في زمن سابق يمكن أن تكون عكسها الظروف المحيطة الآتية والتي ساهمت في مثل هذا التغير وبالتالي فالطبيعة الحركية للمجتمعات ، بالإضافة للتطورات التكنولوجية المتسارعة؛ تفرض علينا تحين وتجديد أفكارنا وتفسيراتنا لمظاهر التغير الاجتماعي كما تقول المقولة: " أن التاريخ يمكن أن يزيّف أي نظرية " ومع كل هذا إلا انه لا يمكننا التقليل من شأن نظريات التغير الاجتماعي التي ظهرت حتى الآن والتي ساهمت في تحقيق قدر كبير من النضج العلمي، وسنحاول في هذا الجزء أن نعرض أهم نظريات التغير الاجتماعي ونتتبع تطوراتها المعاصرة وبهذه الطريقة يمكن ترابط وعلاقة هذه النظريات ببعضها البعض بداء بالنظرية الحتمية ، ثم النظرية التطورية فالوظيفية، وأخيرا النظرية المادية التاريخية. (7)

1- النظرية الحتمية:

نقصد بالنظريات الحتمية تلك النظريات التي تركز في دراستها للتغير الاجتماعي على عامل واحد فحسب، وتفترض كل نظرية من هذه النظريات أن عاملا واحدا كالاقتصاد أو المناخ أو غيرها، هو العامل الوحيد الذي يحرك كل العوامل الأخرى، لذلك فإن هذه النظرية توصف بأنها نظرية اختزالية (Réductionnisme) أي أنها تختزل كل العوامل في عامل واحد وتعتبر أن هذا العامل هو العامل الكافي وحده لحدوث التغير، ويكمن هذا المعنى في مفهوم الحتمية (Déterminisme) وهذا المفهوم يشتق من الكلمة اللاتينية (Déterminant) ومعناها "يحدد"، ولذلك فإن الحتمية تقترض أن الأمور محددة سلفا، وإن المهمة الملقاة على عاتق الباحث هي اكتشاف جملة الشروط المسبقة التي تعين حدوث ظاهرة من الظواهر؛ وعندما استخدمت الكلمة في الفكر الاجتماعي فإنها أصبحت تعني البحث عن السبب الوحيد، الأصل الكامن خلف حدوث كل الظواهر، أو الذي ترتبط به كل المتغيرات كمتغيرات تابعة بالضرورة. (8)

وقد انتشرت الحتميات في كل فروع العلم السياسي والاجتماعي، وجاءت في معظمها متأثرة بعلوم أخرى فأناصر الحتمية الجغرافيا ناثرو بالجغرافيا بل كانوا جغرافيين، والذين ناصروا الحتمية البيولوجية ناثرو بعلم البيولوجيا وبنظرية التطور البيولوجي؛ وسنحاول شرح هذين الحتميتين بشيء من التفصيل حتى نصل إلى إدراك شامل لهذه النظرية.

1-1- الحتمية الجغرافية :

هنالك اعتقاد قديم بأن ثمة علاقة بين طبيعة الطقس الذي يعيش فيه الإنسان باردا كان أم حارا أم معتدلا وبين طابعه الاجتماعي (من حدة المزاج أو أريحيته ومن حيث الانبساط أو الانطواء وغير

ذلك من سمات الطابع الاجتماعي) (9) ولقد تأثر المنظرون الاجتماعيون الأوائل بهذا الاعتقاد ومن أشهر هؤلاء الجغرافي الأمريكي هنتنجتون (Huntington 1965) الذي استخدم مفهوم الحتمية الجغرافية لا في تفسير الاختلاف بين البشر فحسب، ولكن في تفسير تغير المجتمعات، فقد ذهب إلى القول بأنه إذا كانت الظروف الجغرافية هي التي تحدد صفات الناس وسلوكهم؛ فإن هذه الصفات وذلك السلوك لن يتغير إلا إذا تغيرت الظروف الجغرافية، وفي ضوء هذه الفرضية فسّر هنتنجتون ظهور الحضارات وسقوطها، فقد ازدهرت كما قال حضارة واد النيل نظرا لتوفر ظروف جغرافية خاصة بملائمة الطقس والتربة ونوعية المحاصيل وانقرضت هذه الحضارة بفعل تغيرات جغرافية أيضا بعد ارتفاع درجة الحرارة في واد النيل وما ترتب عليها من جفاف التربة الأمر الذي خلق ظروفًا لا يمكن أن تحافظ على ثمار الحضارة وهكذا يفسر هنتنجتون أسباب التغي. (10)

1-2- الحتمية البيولوجية :

تتأسس الحتمية البيولوجية على فرضية مؤداها أن الناس في العالم ينقسمون إلى أجناس وجماعات متميزة بيولوجيا، وأن الأجناس تختلف في قدرتها على تطوير الحياة الاجتماعية وتنميتها، وأن نوعية الحياة لدى شعب من الشعوب هي مؤشر على قدرتها البيولوجية؛ وفي ضوء ذلك تتبلور الفروق الفردية بين الشعوب، كما تفسر التغيرات الاجتماعية التي تظهر لدى هذه الشعوب سواء الإيجابية المتعلقة بالتقدم والتفوق أو السلبية المرتبطة بالتقدم والتخلف والتقهقر الحضاري، وتقوم الحتمية على فرضية سادت المجتمعات القديمة وهي خاصية تفوق الطبقات داخل المجتمع على طبقات أخرى كنتائج للتفوق في الخصائص البيولوجية؛ كما ظهر ذلك في الحضارة اليونانية التي ظهر فيها الاعتقاد

9 - عبد الرحمان ابن محمد ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان، ط ج 2004، ص 87-88.

10 - دلال ملحسن استثنائية : مرجع سابق، ص 120.

أن هناك أناسا ولدو ليحكموا وآخرين ولدو كرعية، وهكذا تطورت لتعمم على الفوارق بين المجتمعات (11)

ولقد لعب دي جوبينو (De Gobineau) 1882-1816 دورا في ترويج هذه الفكرة من خلال بحثه عن تفاوت السلالات البشرية الذي ربط فيه بين تفوق شعب ما وانحطاطه وبين خصائصه العرقية ومن المتغيرات البيولوجية التي يتم التركيز عليها في هذا الصدد.

- اثر التفاوت الوراثي على التغير الاجتماعي: التفاوت في الذكاء و الإمكانيات الجسمية والنفسية.

- اثر البيئة الصحية لشعب ما على تطوره ونموه الاقتصادي والاجتماعي، اثر الإنجاب على الإشكال المختلفة لهرم السكان.

وبالرغم من أن النظريات الحتمية قد سادت في مرحلة من مراحل تطور التفكير العلمي وبالرغم من ظهور أنصار لها في العصر الحديث، إلا أن التفكير العلمي المعاصر يميل إلى رفض هذه الحتميات لأسباب عديدة منها:

- أنها نظرية اختزالية ذات نظرة أحادية , لأنها تؤكد سببا واحدا دون تمحيص علمي دقيق.
- أنها نظريات متحيزة تميل إلى تبرير أفكارها بعينها كتفوق شعب من الشعوب.
- أنها قد أدت إلى كثير من الصراعات والحروب، فويلات الحرب العالمية الثانية لم تنتج إلا من الإحساس بالتفوق العرقي من جانب الألمان.

أنها قد ولدت العديد من العنصريات كالعنصرية الصهيونية والعنصرية ضد السود في جنوب إفريقيا وقبلها في أمريكا.

2- النظريات التطورية:

انتشرت النظريات التطورية في القرن التاسع عشر، وكانت متوازية إلى حد ما مع النظريات الحتمية وان كانت تستمد جذورها من الفلسفات القديمة، ولقد ظهرت النظرية التطورية من خلال الاعتقاد بان المجتمعات تسر في مسار واحد محدد سلفا عبر مراحل يمكن التعرف عليها؛ ويتفق التطويريون على هذه القضية، ولكنهم يختلفون حول قضايا ثلاث الأولى تتصل بمراحل التطور أي عدد المراحل التي يمر بها مسلك التطور الاجتماعي، والثانية حول العامل الرئيسي المحرك للتطور؛ أي هل يظهر التطور نتيجة لتغير في الأفكار والمعتقدات أم يظهر نتيجة لتغير في (12) التكنولوجيا والعناصر المادية والثالثة هل التطور يسير في مسلك خطي تقدمي أم في مسلك دائري يعود من حيث بدا ومنه تنقسم نظريات التطور المفسرة للتغير الاجتماعي إلى نوعين:

1-1- النظريات الخطية:

توصف نظرة التطور الخطي بأنها نظريات تهتم بالتحويلات التقدمية المستمرة أو المطردة الموصلة في النهاية إلى هدف محدد، ويمر المجتمع في حالة تحوله نحو تحقيق هذا الهدف بمراحل أو خطوات ثابتة ولقد سار الفكر التطوري المبكر في خطين رئيسيين في تحديده لمراحل التطور: (13) أولاً: التركيز على عنصر واحد من عناصر الحياة الاجتماعية أو الثقافية وتحديد المراحل الزمنية التي سارت فيها المجتمعات وفقا لهذا العنصر، وهكذا مال التطويرين إلى التركيز على الجوانب الاقتصادية كالقول بان المجتمعات مرت بمرحلة الصيد، ثم مرحلة الرعي؛ ثم مرحلة الزراعة.

ثانياً: مال بعض التطويرين إلى النظر للتطور الكلي في البناء الاجتماعي أو الثقافي، وتحديد المراحل بشكل كلي دون التركيز على عنصر بعينه، وتندرج تحت هذا الموقف معظم الإسهامات التطورية الشهيرة في القرن 19 عشر، ومن الأمثلة عليها نظرية أوجست كونت عن تطور المجتمعات بداية

12 - دلال ملحسن استثنائية : مرجع سابق، ص121.

13 - أحمد زيدان واعتماد إعلام: مرجع سابق، ص45.

بالمرحلة الميتافيزيقية مرورا بالمرحلة اللاهوتية وصولا إلى المرحلة الوضعية أو العقلية (14) ونظرية ماركس حول التحول من المجتمع المشاعي إلى المجتمع الإقطاعي إلى المجتمع الرأسمالي إلى المجتمع الاشتراكي، ونظرة لويس مرجان في التحول من المجتمع البدائي إلى البربري فالمرحلة البدائية تنقسم إلى مرحلة دنيا بدائية وهي منذ نشأة الجذور الأولى للإنسان، المرحلة الوسطى من البدائية وتبدأ منذ بداية صيد الأسماك للحصول على الغذاء؛ ثم المرحلة العليا من البدائية وتبدأ منذ اختراع السهم والقوس، ثم تأتي فيما بعد المرحلة الدنيا من البربرية وتبدأ منذ ابتكار صناعة الفخار تليها المرحلة الوسطى البربرية وهي تبدأ منذ استئناس الحيوان في نصف الكرة الشرقي، وزراعة الذرة والنباتات بوساطة الري في الجهة الغربية؛ تليها بعد ذلك المرحلة العليا البربرية وتتطلق منذ بداية صهر الحديد الخام واستخدام آلات جديدة، ومنه تأتي المرحلة الثالثة في التصنيف وهي المرحلة المدنية وتتطلق منذ اختراع الحروف الأبجدية المنطوقة واستخدام الكتابة إلى وقتنا الحاضر وسواء ركزت النظرية على متغير واحد أو ركزت على المجتمع ككل فإن النظرية الخطية تتميز بتحديد مراحل تقدمية تسير نحو هدف محدد (15) ، كما يؤكد مورجان أن كل مرحلة من مراحل التطور التكنولوجي ترتبط بعلاقة متبادلة مع تطورات مميزة في الأسرة والدين والنظام السياسي.

2-2- النظرية الدائرية :

يذهب أنصار هذه النظرية إلا أن التغير يتجه صعودا وهبوطا في تموجات على شكل أنصاف دوائر متتابعة وبنظام مطرد، بحيث يعود المجتمع من حيث بدأ في دورة معينة، وتتقسم النظريات الدائرية إلى نوعين: بعضها يفسر جانبا محدودا من جوانب الحياة الاجتماعية أو يشرح ظاهرة أو نظاما اجتماعيا واحدا، وبعضها الآخر يهدف إلى التفسير المجري العام للتاريخ؛ متناولاً جميع الظواهر والنظم والأنساق الاجتماعية دون أن يركز على ظاهرة واحدة أو نظام بذاته، ومن أصحاب النظريات

14 - خالد حامد : المدخل إلى علم الاجتماع ، دار جسور للنشر والتوزيع، المحمدية، الجزائر، ط1، 2008، ص70.

15 - دلال ملحسن استنتية: مرجع سابق، ص ص 126 - 127.

الدائرية نجد ابن خلدون و فيكو و شبنجلر و وتوينبي، حيث يرى ابن خلدون أن المجتمع الإنساني كالفرد يمر بمراحل منذ ولادته حتى وفتته؛ وان للدولة أعمارا كالأشخاص سواء بسواء، وعمر الدولة في العادة ثلاث أجيال والجيل يقدر بأربعون سنة فمرحلة الدولة إذن مئة وعشرون سنة بالتقريب وفي هذه الأجيال الثلاثة يمر المجتمع بمراحل ثلاثة هي:

- مرحلة النشأة والتكوين: وهي مرحلة البداوة ويقتصر الأفراد فيها على الضروري من أحوالهم المعيشية وتتميز هذه المرحلة بخشونة العيش وتوحش الأفراد والعصبية.

- مرحلة النضج والاكتمال: وهي مرحلة الملك يتحول فيها المجتمع من البداوة إلى الحضارة والى الثرة والخصب وفيها تتحدد السلطة في فيئه واحدة بعد أن كانت عامة.

- مرحلة الهرم والشيخوخة: وهي مرحلة الترف والنعيم وفيها ينسى الفرد مرحلة البداوة والخشونة وتسقط العصبية ويبلغ الترف ذروته وينسون الحماية والمدافعة والعمل والجد وهذا ما يؤدي بالدولة إلى الضعف و الانقراض والزوال وينتهي بالمجتمع إلى الهرم.(16)

ويعتبر المفكر الايطالي "فيكو" من ابرز مفكري القرن السابع والثامن عشر، وقد وضع نظرية دائرية في تطور المجتمع مؤداها أن المجتمع الإنساني يمر بثلاث مراحل: (17)

- المرحلة الدينية أو الإلهية: وفيها يرجع الناس كل شيء إلى الآلهة.

- المرحلة البطولية: وفيها يرجعون كل شيء إلى العظماء والأبطال.

- المرحلة الإنسانية: وفيها أصبحت الجماهير أو الشعوب هي المحرك الحقيقي لكل شيء.

ويؤدي منطق نظريته إلى أن الإنسانية لا تستقر ولكنها تسير سيرا دائريا، فعندما تستقر فترة معينة في المرحلة الأخيرة فإنها سرعان ما تعود القهقري إلى المرحلة الأولى، ولكن بشكل أرقى مغاير وبصورة أكثر رقيا ، وكذلك بالنسبة إلى كل من اوزفالد شينجلر في كتابة سقوط الغرب وشبه الحضارات

16 - عبد الرحمان ابن محمد ابن خلدون: مرجع سابق ، صص160- 161.

17 - احمد زياد : مرجع سابق ، ص45.

بالكائن الحي الثلاثة الشباب والرشد والشيخوخة، كما درس سبع حضارات كانت قائمة ووجد أن هذه المراحل تنطبق عليها تماما، وكذا بالنسبة للفيلسوف المعاصر ارنولد تويني إذ حصر نطاق التغير في ثلاث أحوال أساسية الأولى هي حالة التوازن؛ والثانية الانتقال إلى اللاتوازن والثالثة الانتقال إلى حالة جديدة. (18)

4- النظريات المادية التاريخية:

إذا كانت الوظيفية تركز على التغير التدريجي التوازني، فإن المادية التاريخية تركز على التغيرات الثورية التي تنقل المجتمع من حالة إلى حالة مناقضة وإذا كانت الوظيفية تركز على التوازن والتكامل فإن المادية تركز على الصراع والتناقض، فالصراع في نظرها هو المحرك الأساسي للمجتمع، وترجع الصياغات الأساسية للنظرية المادية التاريخية إلى إسهامات كارل ماركس (1818-1883) وظلت هذه الصياغات تتطور مرة بالحذف وأخرى بالإضافة حتى يومنا هذا؛ وكما نعلم فانا الكثير من الأفكار النظرية المادية وأساليبها التحليلية قد استخدمت في تفسير عملية التغير الاجتماعي سواء في العالم المتقدم أو العالم المتخلف، وفي ضوء ذلك فإننا سنلقي نظرة على صورتين من صور التحليل المادي التاريخي الأولى هي الصورة الماركسية والثانية نظرية النمو اللا متكافئ أو نظرية النسق الرأسمالي العالمي:

4-1- النظرية الماركسية:

ينظر الماركسية إلى الحياة الاجتماعية على أنها دائبة الحركة، وتمثل حركتها شكلا خاصا من أشكال حركة المادة، أي أنها تحمل في داخلها حركة التغير؛ حيث يتأسس المجتمع فيها على أساس اقتصادي ينحصر في علاقات وأنماط الإنتاج السائدة في المرحلة التاريخية، أي أن الاقتصاد هو الركيزة الأساسية التي يركز عليها المجتمع، و لذلك فإنه يشكل كل عناصر البناء الاجتماعي الأخرى

والتي أطلق عليها ماركس عناصر البناء الفوقي كالقانون والدولة والأسرة والثقافة؛ كما يرى بان التغير الاجتماعي في المجتمع يحدث كانعكاس للتغير الذي يطرأ على أسس المجتمع الاقتصادي أو بنيته التحتية ففي مرحلة من مراحل تطورها تدخل القوى الإنتاجية في المجتمع في تناقض مع علاقات الإنتاج السائدة تصبح غير ملائمة للتطورات التي تحدث في قوى الإنتاج، ولذلك فلا بد أن تتغير علاقات الإنتاج وان تتغير معها كل عناصر البناء الفوقي لتدعيم هذا التغير، وهنا تحدث الثورة التي تنتقل من مرحلة إلى مرحلة؛ ولقد ميز ماركس في تاريخ المجتمعات بين خمس مراحل تبدأ بالمرحلة البدائية أو المشاعية ومرحلة الإنتاج الآسيوي، والمرحلة الإقطاعية والمرحلة الرأسمالية، ثم المرحلة الشيوعية؛ وتتميز كل مرحلة بوجود نمط إنتاجي معين (19)، وبالتالي فان ماركس يرى أن مصدر التغير يكمن في تغير القاعدة الاقتصادية للمجتمع وان أي تغير يؤدي بالضرورة إلى تغيرات في المستوى الفوقي الذي يشمل التنظيمات السياسية والتشريعية، كما يرى بان الوجود هو الذي يشكل الوعي(20) والصراع عند ماركس كعملية اجتماعية يجري حتما بين قوى مختلفة متساوية أو متبادلة في حجمها وقدرتها؛ بل أن الموضوعات الاجتماعية التي يناضل من اجلها الناس كالثورة والمال والجاه هي أساسا مصدر للقوة وصراع القوة يعتبر جوهر العملية الدينامية في الحياة الاجتماعية.(21)

4-2- نظرية التنمية التابعة:

ترتبط هذه النظرية بتوصيف التغير الاجتماعي في دول العالم الثالث، وهي تختلف عن النظرية الوظيفية، فإذا كانت نظرية التحديث الوظيفية ترى أن التحول في دول العالم الثالث يسير بشكل منظم نحو تحقيق النموذج المثالي للمجتمعات الغربية؛ فأن أنصار نظرية النسق الرأسمالي العالمي يرون خلافا لذلك أي أن حركة التغير في مجتمعات العالم الثالث تسير نحو مزيد من التخلف وانه إذا

19- دلال ملحسن استيتية : مرجع سابق، ص 146.

20 - إبراهيم عثمان، قيس النوري: مرجع سابق، ص 22.

21 - محمد عبد الكريم الحورابي : النظرية المعاصرة في علم الاجتماع التوازن التفاعلي توليفة بين التوازن والصراع ، دار مجدلاوي، عمان، ط1، 2008، ص88.

تحققت فيها جوانب التنمية فإنها تظل تنمية تابعة غير مستقلة، فالبناء الاجتماعي في دول العالم الثالث هو بناء متخلف تابع محكوم بنمط معين لتقسيم العمل الدولي، وقد اكتسب هذا البناء المتخلف خصائصا من خلال العلاقات التاريخية التي تدخل فيها الرأسمالية العالمية؛ ولم تؤد هذه العلاقات إلى تحويل الأبنية التقليدية في الدول الفقيرة إلى أبنية حديثة، وإنما أخضعتها لخدمة مصالحها، وحولتها إلى أبنية تابعة متخلفة وفي ضوء هذه الرؤية فإن تحليل عمليات التغير الاجتماعي في دول العالم الثالث، لا بد أن يتم في ضوء تحليل النظام الرأسمالي وتطوره عبر الزمن؛ وتحليل القوانين التي عمل في ضوءها هذا النظام والتي أفرزت في داخله أشكالاً من التباين بين الدول المتخلفة التابعة ودول المركز التي حققت درجة عالية من النمو. (22)

3- النظريات البنائية الوظيفية:

لقد حاولت الوظيفية أن تفهم وتفسر المجتمع في ضوء ظروفه المعاصرة وفي ضوء العلاقات المتبادلة بين مكوناته، وتعتمد النظرية البنائية الوظيفية في تحليلاتها على مفهومين رئيسيين البناء والوظيفة ويشير البناء إلى العلاقات المستمرة الثابتة بين الوحدات الاجتماعية، بينما يشير مفهوم الوظيفة إلى النتائج أو الآثار المرتبطة على النشاط الاجتماعي، فالبناء يكشف عن الجوانب الهيكلية الثابتة، بينما تشير الوظيفية إلى جوانب الدينامية داخل البناء الاجتماعي؛ ولقد استخدم الوظيفيون مفهوماً ثالثاً وهو مفهوم النسق الاجتماعي والذي أمكن من خلاله تحليل الجوانب الهيكلية البنائية والجوانب الدينامية الوظيفية، فالمجتمع نسق كبير يتكون من مجموعة من الأنساق الفرعية، يؤدي كل منها وظيفة محددة (23) ولقد ظهرت الوظيفية عبر تراث طويل امتد من القرن التاسع عشر إلى وقتنا الحاضر وساهم في ذلك العديد من العلماء ومن ثم فقد تعددت صورها وتباينت فيها الإسهامات

22 - دلال ملحسن استثنائية : مرجع سابق، ص ص 147- 146.

23 - احمد زياد : مرجع سابق، ص 51.

النظرية، وبالرغم من ضروب الاتفاق بين هذه الصور إلا أن ثمة اختلاف بينهما؛ وهو اختلاف نابع من طبيعة الطرف التاريخي الذي ظهرت فيه كل صورة من هذه الصور فهناك وظيفة القرن التاسع عشر، التي تأسست من خلال أعمال سبنسر ودوركايم وباريتو ولفيف آخر من علماء الانثروبولوجيا، وهناك الوظيفة القرن العشرين التي أسسها عالم الاجتماع تالكوت بارسونز. (24)

3-1- الوظيفة الكلاسيكية:

تستخدم مفهوم "الوظيفة الكلاسيكية" للإشارة إلى إسهامات الوظيفة المبكرة كما تمثلت في أعمال سبنسر و إميل دوركايم، وماكس فيبر وغيرهم والمحقق أن هذه الإسهامات على ما بينها من اختلاف تميل إلى النظر للتغير الاجتماعي باعتباره تغيرا توازنيا تدريجيا لا يؤدي إلى هدم البناء الاجتماعي أو تبديله ، وإنما يؤدي إلى استمراره في حالة متكاملة ومتوازنة، فالتغير الاجتماعي في شكل إضافات في الحجم وتباين في المكونات يصاحبه دائما عمليات التكامل والتوازن حيث يعتبر سبنسر (1820-1903) أن المجتمع كائن كلي يتكون من وحدات متميزة تنتظم وفقا لترتيبات معينة في مكان محدد ويشبه بذلك الكائن العضوي فالمجتمع ينمو في حجمه وهو عندما ينمو في الحجم تتباين مكوناته وتصبح غير متشابهة وهنا يظهر ضرب من التباين البنائي ولكن هذا التباين لا يفقد المجتمع تكامله أما دوركايم (1855-1917) يظهر التغير الاجتماعي عنده من خلال العلاقة التي أقامها بين مفهوم تقسيم العمل ومفهوم التضامن الاجتماعي؛ فتقسيم العمل تصاحبه ضرورة مختلفة من التباين الاجتماعي في زيادة السكان، وهذه التباينات هي التي تجعل العمل ضرورة، وهو في جوهره تعبير عن هذا التباين ودالة على حدوثه ؛ فالمجتمعات تميل في تطورها إلى تباين في مكوناتها وحدث أشكال من التباين يؤدي إلى زيادة الكثافة الأخلاقية وهذه بدورها تؤدي إلى تقسيم العمل، غير أن المجتمعات لا تتحول دون ضوابط فتحولها منضبط بقواعد ومعايير قانونية، وهنا يأتي مفهوم التضامن وبالتالي

24 - دلال ملحسن استثنائية : مرجع سابق، ص 137.

فالوظيفية هنا تشير إلى تكامل الأجزاء في الكل والتساند فيما بينها، حيث كل جزء من الأجزاء يؤدي وظيفة خاصة به، لا يكون غيره قادرا على القيام بها، ومنه يكون التساند الكلي الوظيفي من اجل استمرار الحياة.(25)

2-3- نظرية التوازن الدينامي :

تطورت الوظيفية في القرن العشرين لتركز على فكرة التوازن الدينامي في عملية التغير الاجتماعي وبعد عالم الاجتماع الأمريكي تالكوت بارسونز أشهر من طور الأفكار الوظيفية في هذا الاتجاه، ولذلك فأنا عندما نتحدث عن هذه النظرية كأحدى النظريات الوظيفية في دراسة التغير الاجتماعي، فإننا نتحدث عن الرؤية البرسونزية للتغير فالمجتمع عند بارسونز هو احد الأنساق الأساسية للفعل ؛ والتي حددها بارسونز في أربع انساق هي النسق العضوي، ونسق الشخصية والمجتمع والثقافة والمجتمع بدوره ينقسم الى أربعة انساق فرعية تتمثل في الاقتصاد والسياسة والروابط المجتمعية، ونظم التنشئة الاجتماعية، والمجتمع كنسق في حالة توازن؛ وعندما يتعرض المجتمع إلى حالة تغير فإنه يفقد خاصية توازنه، فهذا التوازن دينامي ومستمر ،لذلك فإنه يمكن للمجتمع دائما من أن يتكيف مع التغيرات الجديدة ودمجه داخل بنائه ويمكن أن نميز بين نوعين من التغير الاجتماعي عند بارسونز:

- التغيرات قصيرة المدى: وتطرأ نتاج لعوامل داخلية كالاختراعات والأفكار الجديدة.

- التغيرات طويلة المدى : وهي واسعة النطاق وتحدث على فترات متباعدة. (26)

3-3- نظرية التحديث الوظيفية :

25 - محمد الدقس : التغير الاجتماعي بين النظرية والتطبيق، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الأردن، ط2، 1996، ص171.

26 - دلال ملحسن استثنائية : مرجع سابق، ص ص 141-142.

عندما تحول علم الاجتماع إلى دراسة مجتمعات العالم الثالث، ورصد حركة التغير في هذه المجتمعات وهو اهتمام تبلور بوضوح بانتهاء الحرب العالمية الثانية، حيث بدأ علماء الاجتماع بتطبيق نفس المقولات الوظيفية في التغير الاجتماعي على تحول المجتمعات التقليدية (التي تقع خارج نطاق المجتمعات الصناعية) والتي أخذت تتحول وتتغير على نفس نمط التحول والتغير في المجتمعات الغربية الصناعية؛ وان هذه المجتمعات تشهد أبنية اجتماعية وثقافية تقليدية، والتقليدية هنا تقاس بدرجة سكون المجتمع التقليدي وتجانسه وانخفاض مستوى التكنولوجيا، وجمود العناصر الثقافية وتحجرها , ويحدث التغير الاجتماعي في هذه الأبنية نتيجة لعوامل خارجية ناتجة عن عملية اتصالها بمصدر الثقافة الحديثة الغربية؛ فالاتصال الثقافي بالحضارة الغربية يؤدي إلى نشر الثقافة الحديثة في شكل دوائر تتسع باستمرار إلى أن تشمل قطاعات المجتمع بأسره، فعندما يحدث هذا الاتصال تبدأ الثقافة التقليدية في الخروج من جمودها، وتشهد عمليات تباين واسعة النطاق تؤدي إلى تغييرها لكي تقترب من النموذج المثالي القائم في المجتمعات الغربية؛ ويطلق على هذه العملية عملية التنمية أو التحديث.(27)

3-عوامل التغير الاجتماعي في الوطن العربي والجزائر:

عندما نتفحص تراث العلوم الاجتماعية الخاص بعمليات التغير الاجتماعي والعوامل المحدثة له، سوف نجد أن النظرية الحتمية السابقة الذكر ترجع التغير لعامل بعينه دون آخر، بينما نجد أن وجهة النظر الحديثة والتي نتفق معها تأخذ بعين الاعتبار بتعدد العوامل وتداخلها في إحداث التغير الاجتماعي؛ كما يقدم لنا علماء العلوم الاجتماعية العديد من عوامل التغير الاجتماعي وتصنيفها إلى عوامل خارجية وأخرى داخلية نظرا لاختلاف الظروف الإنسانية المحيطة، كما تختلف العوامل فيما بينها من حيث مدى وعمق ومعدل تأثيرها النسبي بين مجتمع إنساني وآخر بل في داخل المجتمع

27- دلال ملحسن استيتية : مرجع سابق، ص 143.

الواحد، فقد يهيمن عامل بعينه على باقي العوامل في مجتمع ما بينما لا يهيمن العامل ذاته أو يختفي في مجتمع آخر؛ فلكل مجتمع خصوصيته ومن هنا سنحاول عرض أهم عوامل التغير الاجتماعي في الوطن العربي على وجه العموم وفي الجزائر على وجه الخصوص.

3-1- عوامل دينية:

أولت الشريعة الإسلامية عملية التغير الاجتماعي اهتماما كبيرا، فحتمية التغير الاجتماعي في الإسلام حقيقة معترف بها عندما يرتبط تغير المجتمع بتغير الأنفس حيث يجعل حدوث الأول رهنا بالثاني كما جعل الإسلام التربية في منهجه شرطا مسبقا وقوة فاعلة أساسية في الوقت ذاته لتغير المجتمع ، وتأتي نظرة الإسلام لقضية التغير شاملة، عندما نظر إلى معترك الحياة الاجتماعية وصنفها إلى جانبين أساسيين : أولهما ثابت لا يخضع للتغير، والثاني متغير بحسب مقتضيات المصلحة زمانا ومكانا وحالا وبالتالي فالتغير الاجتماعي من منظور الإسلام واجب شرعا إذا كان في ذلك خير وصلاح للفرد والمجتمع على حد سواء بشرط الالتزام بالتعاليم والتقيد بالضوابط الاجتماعية. (28)

3-2- عوامل جغرافية:

لو حاولنا استقراء ما يسجله تاريخ الوطن العربي بوجه خاص والجزائر بوجه عام في مجال التغير الاجتماعي سوف نجد أن العامل الجغرافي يلعب دورا حيويا في تحديد ملامح عمليات التغير الاجتماعي وأنماطه وتداعياته السلبية منها والايجابية على النظام العربي ككل وسوف نعرض بعض مظاهر التغير التي يحدثها الموقع الجغرافي:

- سهولة الاتصال الثقافي مع بلدان غير عربية فموقع الوطن العربي الممتد من المحيط الأطلسي إلى الخليج يجعله متصل بجميع قارات العالم، وبالتالي يسهل التواصل مع أي مجتمع. كما اثر هذا التقارب حتى في لون البشرة وتشابه الأجناس.
- ظهور موانئ عربية إستراتيجية كمناء "جنح" الجزائري، ساعدت على ترحال الملاحين العرب والتجار ودعاة الإسلام لنشر ثقافته في آسيا وإفريقيا وأوربا ويعتبر العرب أول من أقام علاقات مباشرة مع الصين وشرق افريقيا.
- جعل الوطن العربي مطمعا للغزاة والمستعمرين لموقعه الاستراتيجي كما حدث مع الجزائر
- سهولة الانتقال بين الدول العربية مما ساهم في زيادة وحدة الوطن العربي.(29)

3-3- عوامل اقتصادية وطبيعية:

من بين العوامل الهامة والأساسية في تحويل المجتمعات وفي تغير مجرى التاريخ، تلك العوامل الاقتصادية المرتبطة بالتطور المادي، والذي يغير البناء الاجتماعي بوجهيه المادي والمعنوي فالأفكار والذهنيات والعادات والتقاليد تخضع هي الأخرى في تغيرها إلى الظروف الاقتصادية المتوفرة في أي مجتمع؛ وتتأثر بتغير تلك الظروف نفسها، لهذا فإن أي تغير أو تحول في المجتمع لا يمكن أن يحدث لمجرد توفر عوامل دون أخرى بالرغم من أن التاريخ الاجتماعي لبعض الدول منها دول العالم الثالث، يشير إلى أنها لم تمر بنفس المراحل التطورية التي مرت بها المجتمعات المتقدمة اقتصاديا؛ وبالتالي فإن عوامل التغير لم تكن نفسها فقد توجد بعض المجتمعات ومنها المجتمع الجزائري، قد قفزت من المجتمعات الاستعمارية الإقطاعية، الاشتراكية القائمة على التصنيع والصناعات الثقيلة والتي تتطلب رؤوس أموال من المفروض أنها تراكمت بفعل تظافر جهود مجموعة من العوامل التاريخية دون غيرها؛ والعوامل الاقتصادية قد أوجدت فيما

29- ابراهيم عثمان، قيس النوري: المرجع نفسه، ص ص 168 - 169.

بعد بفعل السياسة التنموية التي أنتجتها ابتداء من 1966، لكن هذا لا ينفي أن تغير المجتمع الجزائري خاصة بالنسبة للتحويلات التي يعيشها الآن، فقد ساهمت فيها مجموعة من العوامل الاقتصادية والتي كانت بشكل مغاير عن التحويلات التي عرفت في فترة السبعينيات، حيث ساهمت الثروات الطبيعية وعلى رأسها المحروقات كعامل اقتصادي رئيسي هام في اعتماد الاشتراكية الاقتصادية الموجه في تحقيق التنمية الاقتصادية الاجتماعية، وكانت أساس قيام قاعدة صناعية ثقيلة هامة في الجزائر، فالتطور التكنولوجي الذي عرفه العالم المتقدم؛ والازدهار الاجتماعي الذي حققه هذا التطور جعل من الجزائر تتجه نحو التصنيع عن طريق استيراد التكنولوجيا، حتى تكتمل الثلاثية الصناعية وهي المواد الخام واليد العاملة والتكنولوجيا،⁽³⁰⁾ وكان المخططون يعتقدون أن جميع هذه العناصر على ارض الواقع كفيلا بتحقيق التنمية الاقتصادية، وبالتالي تغير الواقع الاقتصادي والاجتماعي بالضرورة حتى وان كانت التكنولوجيا تحمل في جوانبها عناصر ثقافية غريبة عن المجتمع الجزائري؛ فهذه العوامل التي اعتمدت عليها الجزائر في تجربتها التنموية منذ السبعينيات و التي دفع إلى ظهور قطاع صناعي ضخم خبطت من خلاله الجزائر خطوات كبيرة في مجال التنمية لكن هذه التغيرات لم تصمد أيضا في ضل سيطرة اقتصاد السوق على العالم الغربي ومنه الوطن العربي والجزائر. (31)

4-3- العوامل الاجتماعية :

تتضافر مجموعة من العوامل والأسباب في إحداث التحويلات التي هي عملية تكييف المؤسسات المختلفة للوظائف أو المهام التي تكون قد تغيرت بفعل هذه العوامل، والمجتمعات الانتقالية أو ما يسمى بالمجتمعات الجديدة، لم تمر في تطورها الاجتماعي والاقتصادي بنفس المراحل التي مرت

30 - جيهان احمد رشتى: نظم الاتصال والإعلام في الدول النامية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1972، ص64.

31 - جيهان احمد رشتى: المرجع السابق، نفس الصفحة.

عليها المجتمعات الغربية والتي لم تتعرض لنفس التمزق الذي عاشته تلك الدول المتخلفة؛ كما أن الدول المتقدمة الغربية قد تغيرت بفعل عوامل داخلية، بينما الدول السائرة في طريق النمو، عندما أخذت استقلالها كانت تحركها رغبة عارمة في التطور والتقدم وبالتالي فإن عوامل التغير فيها كانت خارجية أكثر منها داخلية؛ خاصة فيما يتعلق بالأفكار التي تقوم بتنظيم المجتمعات سياسيا واقتصاديا وبالتالي فإن الجزائر عند تخطيها المرحلة الاستعمارية وشروعها في بناء مجتمعها اعتمدت على أفكار ومنطلقات خارجية في تطوير المجتمع الداخلي مستخدمة في ذلك مبررات داخلية هي في الحقيقة حصيلة المشاكل التي ورثتها عن الاستعمار الفرنسي، وبالتالي كانت كغيرها من دول العالم الثالث تحركها رغبة التطور السريع والشامل، وكانت شمولية الهدف من الناحية الايديولوجية لا يحققها غير الخط الاشتراكي والملكية الجماعية والتسيير الأحادي لكل دواليب الحكم والساسة والاقتصاد، دون مراعاة خصوصيات المجتمع ومقومات الشخصية الجزائرية وبالتالي فإن عدم تبني سياسة إستراتيجية مبنية على حاجيات ومتطلبات المجتمع الجزائري جعل الجزائر تتخبط في العديد من المشاكل الاجتماعية كالفقر و البطالة؛والانغلاق السياسي والفوارق التعليمية وانخفاض المستوى(32) الصحي وتفشي الجرائم ، كل هذه العوامل سارعت في حدوث التغير في الجزائر وظهر ذلك جليا من خلال أحداث أكتوبر 1988.(33)

والتي كانت منعرجا لإعادة النظر في كل السياسات السابقة والعودة إلى إحداث تغيرات سياسية وقانونية واقتصادية للتسيير الهيكلي للمجتمع الجزائري حتى يواكب التطورات الحاصلة في العالم بشكل ايجابي.

32 - سامية محمد جابر: الاتصال الجماهيري والمجتمع الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1994، ص317.

33 - علي الكنز: حول الأزمة دراسات حول الجزائر والعالم العربي، دار بوشان للنشر، الجزائر، 1990، ص ص 74 - 86.

4- آليات وإفرازات التغير الاجتماعي:

تختلف مصادر التغير الاجتماعي وتتعدد نظرة المفكرين حول هذه المصادر إلا أن الجميع تقريبا يتفق حول مصدرين، لا يمكن بالرجوع إلى أفكارهم الاستغناء عنهما ويتمثلان في:

- المصدر الخارجي: ويكون قائما في داخل النسق الاجتماعي، والإطار الذي يعمل فيه يكون المجتمع نفسه، أي نتيجة لتفاعلات تتم داخل المجتمع نفسه.

- المصدر الخارجي: والذي يأتي من خارج المجتمع من خلال اتصاله بغيره من المجتمعات الأخرى وبطبيعة الحال سواء أكان مصدر التغير من الداخل أم من الخارج فإن ذلك يقوم بالظروة على آليات محددة تتمثل في

1- الاختراع والاكتشاف: يبدو ذلك في ابتكار أشياء جديدة لم تكن موجودة من قبل مثال ذلك اختراع الحاسوب والهاتف النقال.

2- الذكاء والبيئة الثقافية: فبلا شك انه ليس بمقدور أي فرد العيش بعيدا عن الاختراعات والاكتشافات خاصة الضرورية منها.

3- الانتشار: أي أن هذه المبتكرات والاختراعات لن يكتب لها النجاح مال تنتشر في المجتمع وتعمم فتؤدي بذلك إلى عملية التغير. (34)

أما بالنسبة لإفرازات التغير الاجتماعي: بالنسبة للإفرازات الناتجة عن التغير الاجتماعي فانا نعلم انه بعد نهاية كل مرحلة لا بد أن تظهر إفرازات مجموعة من الإفرازات كنتيجة لهذا التغير الذي حدث في المجتمع ومن بين هذه الإفرازات والتي هي في العادة عديدة ومتنوعة سنحاول أن نشرح بعض هذه الإفرازات.

1- الاستهلاك المظهري:

فبعد أن تصل عملية التغير إلى نهاية مرحلتها لتبدأ مرحلة جديدة يصيب المجتمع حالة من الرفاهية والرخاء والذي يجعل أفرادهم يعيشون عيشة مترفة يتمتعون بنعيم التغير الذي جلب لهم المال الوفير يستخدمونه لإرقاء مستوى عيشهم فينقلهم من الضروريات إلى الكماليات، أي يذهبوا لاقتناء السلع النفسية والملابس الفاخرة والعطور الغالية وبناء المنازل الفخمة والأثاث والسيارات الفارهة ليستمتعوا بجمالية ورونق الحياة التي جاء بها التغير لهم، وأبناء هذا المجتمع يكونون في الغالب عالة وعبأ على المجتمعات المنتجة ويكون مجتمعهم منحطاً في وجوده خالي من الإبداع الخلاق غير قادر على الإسهام في بناء تغير لنفسه بل يستقبل المؤثرات الخارجية فيستجيب لها لأنه يضحي كارها للعمل اليدوي و الإنتاج المثمر؛ هذا النوع من المجتمعات غالباً ما يكون مصدر تغيره احد مصادر الطاقة أو الحرب أو التكنولوجيا.(35)

2- بروز ثقافة الكترونية :

يظهر هذا النوع من الثقافة في مجتمع معلوماتي إذ تتبلور ثقافة الكترونية داخل ثقافة الأسرة عملاً على إرقاء تفاعلها مع ثقافات اجتماعية أخرى خارج حدود مجتمعها فنتناول شتى المواضيع والاهتمام، مثل الموسيقى والطعام والأزياء و تتبادل المعلومات معها لترفع من نمط عيشها وإشراك أفرادها في عالم الأخبار المعاصرة ذات رؤى متباينة ومتعارضة وإزاء ذلك يتم إنشاء قواعد أساسية لمعايير وقيم وسياسة وتجارية وجمالية ترفيهية، بين الأفراد عبر الكون كله وبسرعة فائقة تتوسع دائرة انفتاحهم على ثقافة الأخر. (36)

وتكون المعلومات هنا مستخدمة من اجل التواصل البشري فضلا عن كونها سلعة يستفاد منها في الأنشطة الاقتصادية والسياسية وعنصرنا نقديا بذات الوقت، لنقد الأحداث والأشخاص وحرين بنا أن نشير إلى اتصالات الأفراد هنا يتم عبر تقنيات الكترونية يفضلونها على الاتصال المباشر (وجها

35 - معن خليل العمر: التغير الاجتماعي، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، 2004، ص265.

36 - معن خليل العمر: نفس المرجع، ص267.

لوجه) في معظم أوقات حياتهم، وحتى الحكومة تتصل بمواطنيها وتعرفهم على سياساتها ومواقفها حول المواضيع التي تهتم بها أكثر من اعتمادها على التنظيمات الرسمية الوسيطة بينها وبين المواطنين مثل الأحزاب السياسية والبرلمان ووكالات الأخبار وذلك راجع إلى سرعة اتصالها بهم وكذا الحال بالنسبة لرجال الأعمال والاساتذة في المؤسسات التعليمية والتربوية، هذا النوع من الإفراز يحصل بسبب ثورة المعلومات والتطورات التكنولوجية.

3- ظهور مجتمع معلوماتي :

ينشأ هذا النوع من المجتمعات بسبب الأزمة الديمغرافية والتدمير البيئي المتطرف والتقانية البيولوجية، وتأزم علاقة الشمال بالجنوب وهذا ما حصل في العالم الصناعي الغربي الذي يستخدم أفرادة ثقافة الكترونية تسير وجودهم، وعلاقتهم واتصالاتهم وتكثف ثقافتهم وتحررهم من طغيان وهيمنة الزمان والمكان؛ تقرب من توصلهم مهما تباعدوا جغرافيا وتعجل في تحقيق طلباتهم بسرعة فائقة ووقت وجيز، ويتصف هذا المجتمع بالصفات التالية، يكون الحاسوب مسيطرا على أذهانهم ومعتمدا على قوته الإنتاجية للمعلومة المنفعية (شبكة وبنوك للمعلومات) وبرز مشاكل هذه المجتمعات الاجتماعية فهي غزو خصوصيات الناس وانتشار الإرهاب وكثرة الجرائم الالكترونية ومن الصفات الأخرى في هذا النوع من المجتمعات هي أن معرفة استخدام الحاسوب بين الأفراد يعني امتلاك موهبة تمنح مالکها نفوذا واعتبارا وتميزا عاليا، كما كانت الأرض والمال يمثلان مصدر للنفوذ والعزة والقوة عند أفراد المجتمعات التقليدية والريفية؛ وبالتالي فإن كل تغير واقع في مجتمع ما يحمل في طياته مجموعة من الإفرازات في عديد الميادين والمجالات بجوانبه السلبية والايجابية.(37)

37 - معن خليل العمر : مرجع سابق، ص 267.

5- معوقات التغير الاجتماعي في الجزائر:

إنه لمن الضروري الإشارة في كل مرة إلى ارتباط الموضوع ببعضه البعض وذلك عن طريق وحدة المفاهيم، فقد انطلقنا في هذا الفصل من اعتبار التغير الاجتماعي هو انتقال المجتمع من حالة إلى حالة أخرى، وهذا الارتباط له علاقة في تغيير الأفكار والاتجاهات فيما يخص الأحداث والتطورات التي تحمل أفكارا جديدة تعمل وسائل الاتصال على نشرها وإفهامها لإفراد المجتمع؛ والتأثير عليهم لدرجة اتخاذ القرار بشأن هذه الأفكار الجديدة، ومن هنا يحدث التغير الاجتماعي الذي يفترض انه تغيرا ايجابيا وتقدما نحو الأمام.(38)

لكن هذا التغير الذي يحدث لا محالة ولو كان بمؤشرات خفية كثيرا ما تعوقه معوقات تجعل من المجتمع يظل على حاله، وتعمه مظاهر الكود والثبات، هذه المعوقات مرتبطة بالمجتمع كبناء ومجموعة من الأنساق؛ وبالمؤسسات وأدوارها التي هي مجموعة من الوظائف تقوم بها لتعمل وتثبت بها وجودها ومن هنا ارتأينا معرفة وإظهار معوقات التغير الاجتماعي في المجتمع الجزائري، انطلاقا من التوقف والجمود الذي عرفته العملية التنموية في الجزائر بداية من فترة الثمانينات، فدراسة هذه المعوقات تبدو هامة و ضرورية خاصة إذا ما عرفنا كثافة الحركة والتفاعل الاجتماعي التي تكون نتيجتها الطبيعية إحداث التغير؛ وهذه سمة من سمات المجتمع الجزائري الذي ظل طيلة حياته في صراع دائم، لكن وبالرغم من كل هذا إلا انه لحد الآن لم يصل إلى تحقيق الاستقرار الاجتماعي المنشود ومن بين هذه المعوقات نذكر ما يلي:

5-1- معوقات اجتماعية:

وهي مجموعة من المواقف والقيم الاجتماعية الداخلية، أو الخصائص الاجتماعية التي تميز المجتمعات عن بعضها البعض، و تلك العوامل التي تدخل في تحديد العلاقة بين أفراد المجتمع وبين المؤسسات

38 - عبد الرحمان الزامل: أزمة الإعلام العربي، الدار المتحدة للنشر، لبنان، 1974، ص106.

الاجتماعية والاقتصادية والسياسية؛ وفي تحديد مقدار التعامل ولهذا فإنه بالنظر إلى مقومات المجتمع الجزائري المتمثلة في انتمائه لدول العالم الثالث والى المجتمع العربي الإسلامي، عرف محاولات عديدة لتدمير مقاوماته الشخصية عن طريق الاستعمار السياسي والعسكري والثقافي، هذه المقومات المتمثلة في الدين واللغة ومجموعة القيم ونمط الأسرة؛ والمدرسة وقيم الجماعة السائدة التي تحدد موقفها في التعاون، كما تمتاز الشخصية الجزائرية بتقديسها للحرية الفردية وخاصة فيما يخص الملكية الفردية والعمل (39) بالنظر إلى هذه المقومات نجد التجربة التنموي في الجزائر لم تعط لها المكانة الهامة في المخططات الاقتصادية، ولا حتى في المخططات الثقافية، ولم تهتم بالفرد الجزائري ومقومات شخصيته، ويتجلى هذا في النتائج المتحصل عليها في التجارب الجزائرية السابقة فالبرغم من التفاف العمال حول مؤسساتهم وحول أراضيهم في بداية هذه التجارب إلا أنهم قد تخلو عنها فيما بعد، وقد سجلت هذه التجربة انخفاض في معدلات الإنتاج، ومن بين الأسباب الهامة والرئيسية في ذلك عدم فعالية العامل الجزائري وعد تمكنه من تحقيق أرقام نمو عالية مما ساهم في تحول نظرة العمال شيئاً فشيئاً إلى نظرة عدائية بينهم وبين المسيرين كل هذه المؤشرات تدل على أن الفرد الجزائري في مختلف المؤسسات التي يتواجد فيها لم يستطع التكيف مع الأوضاع الاجتماعية التي أوجدتها التجربة التنموية، وهذا يدل على عدم الاستثمار في الموارد البشرية من جهة وعلى عدم الاهتمام الكافي بعادات وتقاليد ولغة الفرد الجزائري من جهة أخرى، فغالبية الجزائريين ظلت تعاني من الاغتراب الاجتماعي ليس في المصانع فحسب بل في جميع الإدارات على اختلاف مجالاتها وحتى في الجامعة والمدرسة والشارع نتيجة الاغتراب اللغوي والثقافي؛ وعدم تمكن الساسة الاجتماعية

والاقتصادية من توجيه هذه العوامل إلى عوامل مساعدة على التنمية والتغير والتطور بل تحولت إلى عائق اجتماعي. (40)

5-2- معوقات إعلامية:

وهي عوامل معوقة مرتبطة بالجهاز الإعلامي ووسائله وبالوظائف التي يقوم بها من خلال الإطار المرجعي النظري والسياسي والاقتصادي لكل مجتمع، والإعلام قطاع مثل بقية القطاعات الأخرى له عدة جوانب سياسية واقتصادية واجتماعية إعلامية، ومكانته في المجتمع الجزائري مكانة إستراتيجية حسب المفهوم التنموي له؛ وأداة فعالة ومؤثرة حيث الوظائف التي حددتها السياسة الاشتراكية في الجزائر في الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي وقد تحمل الإعلام أعباء هذه المرحلة، وكان أداة مطيعة وصوت مدوي لإسماع الشعارات السياسية والاقتصادية والثقافية التي رفعت في تلك الفترة(41) لكن الإعلام ولأنه على ارض الواقع لم يحض بنفس الاهتمام الذي حضيت به باقي القطاعات الأخرى، فظل بعيدا عن الاهتمامات الحقيقية للأفراد والجماعات في المجتمع الجزائري، ولم يستطع الجهاز الإعلامي ووسائله توظيف تلك الخصوصيات الاجتماعية للجزائر وللمجتمع الداخلي فيها؛ ولم تتمكن من استيعاب العناصر الثقافية المتنوعة في الجزائر ولم يدقق في قضية التعامل مع مقومات الشخصية الجزائرية، التي ظلت معوقات اجتماعية أمام التنمية وأمام الإعلام الذي نجح قبل الثورة وأثنائها عندما اتخذها عناصر ومقومات للمقاومة والكفاح وتماسك المجتمع ، وبالتالي فعدم الاهتمام بهذا القطاع الحساس والذي يعتر السلطة الرابعة وسن قوانين وضوابط تسيير وتخدم التنمية المجتمعية وتكفل الحرية الديمقراطية في نفس الوقت من جهة، واحتكاره في عديد المناسبات من جانب فيئه معينة جعله معيقا من معيقات التغير في المجتمع الجزائري.

40 - علي الكنز :مرجع سابق، ص96.

41 - علي الكنز : المرجع نفسه، ص75.

5-3- معوقات سياسية:

فالأزمة التي مرت بها الجزائر بداية من أحداث 5 أكتوبر 1989 والتي مهدت إلى التطرف السياسي الإسلامي في تلك الفترة، وإلى ارتكاب المجازر في حق الشعب الجزائري وحرق المصانع والمدارس والمؤسسات العمومية و الخاصة، وقتل الأبرياء ونشر الخوف في أوساط الفلاحين ومربي المواشي على مستوى الأرياف والمداشر؛ جعل هذه الفئة تهجر مساكنها وتترك مستثمراتها الفلاحية وتهاجر إلى المدن هروبا من بطش هذه الجماعات المتطرفة التي بثت فيهم الرعب وبدوره هذا النزوح ساهم في ظهور عديد المشاكل التي كانت لها إفرزات كبيرة على المجتمع الجزائري بداية بأزمة السكن وظهور الأحياء القصديرية، إلى أزمة البطالة والتي أدت إلى تفشي ظاهرة السرقة واستفحال الإجرام، هذا بالإضافة إلى ضعف الاقتصاد الجزائري نتيجة تدهور الإنتاج الزراعي في الجزائر مما جعل الجزائر تعتبر من أكبر الدول المصدرة للمنتجات الغذائية وعلى رأسها القمح؛ كما أدى إلى هجرة الأدمغة الجزائرية والتي لاقت احتضان من طرف الدول الأخرى خاصة الأوربية منها، كل هذه المشاكل كانت معيقا سياسيا أدى إلى جعل الجزائر تقبع في بؤر التخلف ولكن بدخول الألفية الثانية بدأت الجزائر تعود نوعا ما إلى المحافل الدولية والمجالات التنموية وتضع خطط إستراتيجية في عديد الجوانب خاصة منها الاقتصادية والتعليمية.

6- علاقة وسائل الإعلام والاتصال بالتغير الاجتماعي:

إن علاقة الإعلام بالتغير الاجتماعي تظهر في محاولات الإنسان المستمرة والمتكررة لإيجاد حل لتخلفه الثقافي والاجتماعي(42) والبحث دائما عن التطلع نحو تغير الوضعيات القائمة باتجاه وضعيات أحسن، وفي محاولاته هذه توصل إلى مجموعة أدوات وتقنيات ووسائل مكنته بدرجات

42 - حمدي حسن : الاتصال وبحوث التأثير في دراسات الاتصال الجماهيري، حمادة الجرسى للطباعة، الرياض،

متفاوتة من تحقيق بعض أهدافه، كما فشل بعضها الآخر وفي كل مرة كانت هذه الأدوات تفشل في تحقيق الغرض كان يتم البحث عن أداة أخرى أو تطوير ما هو موجود من هذه الأدوات؛ وكان الإعلام يمثل الوجه المتطور للاتصال، ووسيلة مكنت المجتمعات من الانتقال من أسلوب لاتصال الشخصي إلى أسلوب الاتصال الجماهيري الذي يمس اكبر عدد من الناس، ووسائل الاتصال من بين الادوات والوسائل التي توصل إليها الإنسان؛ بعد محاولات عديدة ومستمرة ويهدف التخلص من التخلف الثقافي والاجتماعي أو بهدف إحداث تغير على المستوى الاجتماعي والحضاري، ووسائل الإعلام في وقتنا الحاضر هي مظهر من مظاهر التقدم العلمي والتطور التكنولوجي الذي تحققه الإنسانية، وما الاستخدام العريض للوسائل الإعلامية والاعتماد عليها في نشر الرسائل الحضارية عبر العالم إلا تأكيدا على أهمية هذه الوسائل في حمل عناصر التغير و التحول ، ومن هنا تكمن أهمية الإعلام في إحداث التغير الاجتماعي والتي سنحاول شرحها في العنصر التالي.(43)

- دور الإعلام في إحداث التغير :

من المفروض أن الأهمية التي يحتلها الإعلام في المجتمعات وفي حياة الناس، والاهتمام الذي يلقاه الإعلام من طرف النظام السياسي في المجتمع، ونظرا لحجم النفقات والتكاليف الكبيرة التي تخصصها الدولة للإعلام ووسائله تجعل له دورا كبيرا وفعالا في حياة الناس؛ وفي مساعداتهم على التطور ومن هذا المنطلق نقول انه من الضروري أن يكون للإعلام دورا في تغير الأفكار والاتجاهات والقرارات باتجاه أوضاع معينة أو عقليات سائدة، وإذا حاولنا معرفة هذا الدور نشير إلى أن للإعلام دورا طبيعيا نابعا من طبيعة العملية الاتصالية، ومن كون الإعلام في حد ذاته صانعا للأدوار؛ وهذا يعني أن تعرض الناس باستمرار للإعلام من خلال وسائله يوجههم باتجاه ادوار أخرى لم تكن معروفة لديهم، وبالتالي يقومون بها من خلال ما تخلفه فيهم من تفتح معرفي واطلاع على حقائق أخرى

43 - جيهان احمد رشتي: مرجع سابق، ص42.

وتشير إحصائيات الأمم المتحدة ودراسات الرأي العام أن 78% من أوقات الناس تصرف في الاتصال والحديث مع الناس والاستمتاع إلى الإذاعة والتلفزيون وقراءة الصحف للتعرف على ما يجري في العالم من أحداث وهذا يدل على أن الإعلام يلعب دورا هاما وخطيرا في حياة الشعوب (44)، لأنه يعتبر وسيلة فعالة لنقل المعرفة التي تؤثر في قرار القادة وتجنيب الجماهير كما نشاهده اليوم من ثورات شعبية في عديد الدول العربية منها تونس ومصر وليبيا وذلك من خلال القنوات الإخبارية كقناة الجزيرة الإخبارية وبمساهمة وسائل الاتصال الحديثة وبالتالي فقد تعمدا أن نضع الإعلام ضمن الوسائل والأدوات التي تستعمل للتغير، ولم نضعه ضمن العوامل لان العوامل تختلف عن الوسائل، ولو تعرضنا لعوامل التغير الاجتماعي والثقافي لوجدنا هذه العوامل حسب بعض التصنيفات الأقرب إلى الواقع هي الأزمات الاقتصادية والتناقضات الخارجية والثورات والانتفاضات والانقلابات والحروب والاختراعات والتقدم العلمي والتكنولوجي وتلك التي تعمل على تطوير القوى الإنتاجية (45) وإذا كنا قد اعتبرنا منذ البداية منذ البداية أن الإعلام يمثل أحد وجوه الثورة التكنولوجية الحديثة في مجال الاتصال، فإنه يشكل احد العوامل والوسائل للتغير الاجتماعي، التي تعمل على تطوير القوى الإنتاجية في ميدان المعلومات وهو بالتالي وسيلة اقرب منه عاملا لان التقدم التكنولوجي يشمل كافة الميادين؛ والإعلام وسيلة لنشر وتعميم هذا التقدم التكنولوجي والعمل على تقبله من خلال قوة التأثير التي يمتلكها الإعلام، ثم إن التغير الذي تحدثه وسائل الإعلام والذي ندرسه من خلالها ليس المقصود به المعنى الواسع لمفهوم التغير الاجتماعي، وإنما المقصود به ذلك الذي يحدث على مستوى الاتجاهات والآراء والأفعال، وكذلك يحدث في الطريقة والأسلوب الذي ينتشر به تجديد معين أو فكرة معينة أو ممارسة جديدة أو معتقد ديني أو سياسي ، وما يلاقيه هذا التجديد من تقبل

44 - عمار بوحش: الإعلام الاقتصادي وتسيير المؤسسة ، منبر التنمية، مجلة اتحاد الاقتصاديين والاجتماعيين الجزائريين، العدد 2 ، الجزائر 1984، ص9.

45 - محمد احمد الزغبي : التغير الاجتماعي ، دار الطليعة للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1978، ص69.

وتبني من طرف الأفراد والمجتمعات , يحدث تقريبا على مستوى شخصي وفردى؛ أما على المستوى المجتمعي فالتغير الذي يحدث هو تحول المجتمع من التقليد إلى العصرية، أو تخليه عن المعايير التقليدية (46)، وبكل تأكيد هناك علاقة بين التصرفات والقرارات التي تحدث على المستوى الفردي والتغير الذي يحدث على المستوى المجتمعي .

خلاصة: وكاستنتاج لما تم ذكره فإن التغير الاجتماعي هو في النهاية نتيجة لتغير اتجاهات عدد كبير من أفراد المجتمع، ومن أمثلة التغير الاجتماعية في أي مجتمع الثورات الوطنية ضد نظم الحكم، ومنه يظهر جليا دور الإعلام والاتصال في التحولات الاقتصادية والاجتماعية، وقد أكد العلماء والمنظرون على أن الإعلام له دور في قيادة التغير الاجتماعي لكن وفقا لشروط وظروف اجتماعية، ووفقا للمنطلقات الفكرية والإيديولوجية التي يستند عليها ويتحدد هذا الدور حسب الاستعمالات المختلفة للإعلام وحسب طبيعة ومقومات النسق الاجتماعي.

46- محمد عودة : أساليب الاتصال والتغير الاجتماعي، مرجع سابق، ص69.